اعتقادنا بصحة وصواب رأي المعاصرين في افعال المخيلة ولولا اعجابنا به واستحساننا الكامل لجميع اصوله ونتائجه لاتفاقها التامّ مع المبادئ الفلسفية والطبيعية لما كنّا لنُثبتهُ في هذه المجلة . على انهُ اذا ذهب احد الادباء غير هذا المذهب وارتأى غير رأينا فليُتحفنا باختراعه وما تجود به قريحتهُ او اذا وجد مغمزاً في التعليم الآنف الذكر فليبدِ ملاحظاته ونحن ان شاء الله نبادر الى اجابته وازالة شبهته والله الموفق الى الصواب والسلام

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٢٠ كنائس لبنان القديمة

نخال قرّاءنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكنائس القديمة في لبنان بعد ما كرّرنا ذكرها في فصولنا السابقة . وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لأننا لسوء الحظ لم نتمكّن من زيارة كل كنائس لبنان القديمة . ثمّ ان كثيراً من هذه البيع قد خربت في مدّة هذه العشرين سنةً اذ ذهب عنها رونقها القديم وذلك لغيرة محمودة في اهل لبنان حملتهم على تجديد بناء كنائسهم او ترميمها لولا انّهم حرموا من بعض الآثار الجليلة الناطقة عن احوال سلفائهم الافاضل وعليه فقد اسرعنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتدّ يدُ الخراب الى الكنائس الاخرى العهيدة . وغايتنا من هذه النبذة ان نبيّن للقرّاء اجمالاً ما اتّصفت به هذه البنايات المقدّسة وما هي خواصها التي تفرّدت بها في لبنان .

لا مشاحّة في انّ لبنان يتفاخر على غيره من الاصقاع بوفرة كنائسه . فانك لا تكاد تدخل قريةً منهُ بل مزرعةً من مزارعه دون ان تلقى لها كنيستها ولعلّك تجد في القرية الواحدة اللهمّ اذا كانت متوسّطة في الكبر كنيستين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق المئتي سنة تراها في هندستها

اشبه ببيوت القرى لا تختلف عنها الّا بسعتها. فانّها على هيئة مكعّب مستطيل مبنيّة بالحجارة والملاط لها على جوانبها ابواب ونوافذ. وفوقها سطحٌ ترى على احدى حافاته قنّة للجرس لا تظهر بينهُ وبين الكنيسة علاقة هندسيّة. وقد استُبدل السطح منذ عهدٍ قريب بسقفٍ مغطّى بالآجرّ الاحمر فزادت بذلك الكنائس بُعدًا عن هيئة المعابد الدينيّة. وان سألتَ هل لهذه الابنية طرزٌ هندسيّ أجبنا أنّنا نجهل ذلك ولعلّ بُناتها انفسهم لم يدروا ايَّ طريقةٍ هندسيّة جروا عليها في هذه العمارات

لكنّ الامر لم يكن كذلك في سالف الاعصار. ولو بحثنا لوجدنا لاهل لبنان في القرون الغابرة طريقةً هندسيّة في بناء كنائسهم كنّا نودّ لو يحييها المهندسون المحدثون في المعابد التي يشرعون بتشييدها او يستجدّون بناءها

فتُرى اين نجد امثلةً لهذه الابنية العتيقة ؟ أفي جنوبيّ لبنان او مقاطعة المتن ؟ كلّا لأنّ الموارنة لم يدخلوا هذه الاصقاع منذ زمن مديد. وتزيد على ذلك انّ دخولهم في نفس كسروان ليس بقديم كما بيّنّا الامر سابقًا في المشرق في نبذتنا عن فرا غريغون (١ : ٥٦) ثمّ في ردّنا على مقالة « لاحد العلماء » أدوجت في الروضة. وعندنا انّ الموارنة لم يتوطّنوا كسروان قبل القرن السادس عشر وهو قولٌ يمكن تأييدهُ بأدلّة عديدة لعلّنا نذكرها في مطاوي مباحثنا هذه عن آثار لبنان. وحسبنا اليوم ان نقول انّهُ لا يوجد بين اديرة كسروان العديدة ديرٌ واحد يسبق عهدهُ القرن السابع عشر (١ وكذلك لم نطّلع في تواريخ الموارنة على ذكر رجلٍ من مشاهيرهم اصلهُ من كسروان قبل القرن السادس عشر. واذا جاء ذكر الموارنة في تآليف الصليبيين فلا نراهم يذكرونهم الّا في البلاد الواقعة بين طرابلس وجبيل امّا جنوبي نهر ابراهيم فلا نرى لهم فيهِ اثرًا. وكذا قُلْ عن اديرتهم القديمة وكنائسهم فانّها كلّها في شمالي نهر ابراهيم كما انّ اصل قدماء بطاركتهم واساقفتهم من البلاد نفسها

فيتّضح من هذه الحقيقة امران الاوّل انّ لآثار كسروان اليونانيّة الرومانيّة شأنًا اعظم من آثارهِ المارونيّة. والثاني انّ من يطلب امثلةً تطلعهُ على هندسة الموارنة القديمة لكنائسهم الأجدر بهِ ان يطلبها خارجًا عن كسروان

١) راجع كتاب الخوري منصور طنّوس الخوري في المقاطعة الكسروانية ص ٢٨. وتاريخ الموارنة للدويهي ص ٢٠٢

وفي واقع الحال اذا اجتزنا نهر ابراهيم وتوغّلنا في بلاد جبيل وجدنا عددًا وافرًا من هذه الكنائس . وهذا العدد يزيد على قدر مسيرنا الى الشمال . ولا غرو لأن هذه الاصقاع هي مهد الأمّة المارونيّة وموطنها الاوّل درجت منهُ فامتدّت في انحاء لبنان فجهات سوريّة فأقطار المشرق حتى بلغ ابناؤها في عهدنا الغرب ودخلوا العالم الجديد . فان وُجد شيء من آثار ابنيتها الدينيّة القديمة فهي عند مركزها الاوّل وفي محلّ عزّها

*

قد اجمع علماء العاديّات انّ لهندسة الكنائس المسيحيّة منذ بدء النصرانيّة خواصّ مشتركة تشمل كلّ البلاد إن غربيّة وإن شرقيّة مع ما يُرى فيها من الاختلافات الطارئة عليها بسبب تقلّب الاحوال ودواعي الظروف . ومن هذه الخواصّ تقسيم الكنائس المسيحيّة سالفًا الى ثلاثة اقسام الحنيّة او المحراب (abside) ثم السوق (nef) ثم الرواق او الدهليز (portique) . وبيع المواريّة القديمة لا تشذّ في ذلك عن غيرها من معابد المسيحيين العهيدة

فاذا اعتبرنا اوّلًا هيئة الحنيّة وجدناها شبيهةً بالحنايا اليونانيّة اي انّها مجوّفة في الداخل ناتئة في الخارج على شكلٍ مستدير كما ترى في كنائس اهدن وكفرحي ومار نهرا وسيّدة سمر جبيل ومار ضومط في تولا ومار الياس (كنيسة واقعة بين تولا وعبدلّه) ومسرح ومجديدات وادّه (في بلاد البترون) وادّه (في بلاد جبيل) وفي جوار ادّه هذه عدّة معابد وبيع بُنيت على هذا المثال

هذا ولم نتظلّم داعل في سلك القرى المذكورة مع انّ كنيستها المتهدّمة ذات حنيّة ظاهرة الى عهدنا . لأننا نظنّ انّ هذه الكنيسة كانت في الاصل هيكلًا للاصنام ثمّ حوّلها الاهلون الى معبدٍ مسيحيّ على اسم القديس تادروس الشهيد . وبين رَدْمها جدران مائلة حسنة البناء فيها آثار خطوط كوفية مطموسة . وترى مثل هذه الخطوط في حلتا في كنيسة السيدة القديمة . وكنيسة داعل المذكورة يزورها المتاولة ويكرمونها ولهم عند اطلالها سنديانة كبرى لا يمسّها احد

ولو أردنا ان نسرد اسماء كلّ الكنائس القديمة المارونيّة التي جُعل لها حنيّة مستديرة لطال بنا الكلام . ولعلّ الشكاة التي يجعلها المواريّة وراء المذبح الكبير مثال صغير لهذه الحنايا القديمة اتّخذوها كذكرٍ لها . ولا ريب انّ المواريّة اهملوا بناء الحنايا في

كنائسهم يوم اخذوا يتقرَّبون في مناسكهم وطقوسهم من الكنيسة اللاتينية (١ ويقتدون بها في شؤون كثيرة. كما لحظ ذلك مراراً مؤرخو الموارنة انفسهم (٢

هذا وقد اسفنا على انَّ البُناة الذين سعوا في ترميم بعض الكنائس القديمة هدموا الحنايا السابقة او غيَّروا صورتها ما امكن. فترى مثلاً الحنايا الثلاث التي كانت في كنيسة مار دانيال في حدث الجبَّة قد باد أثرها تماماً

ومن خواص البيع المارونيَّة القديمة قبُبها . ومما استحسنَاهُ من هذا القبيل قبَّة كنيسة مار الياس بين عبدلِه وتولا وهي تشبه قبَّة كنيسة جُبَيل. بيدَ انَّ هذه الكنيسة مهملةٌ يتنازع ملكها اهل القريتين

ولكثير من الكنائس دهليز او رواق مقبَّب الشكل كما ترى في كنيسة كفرحي وفي كنيستي مجديدات اعني مار نيقولا ومار تادروس وفي كنائس مار يوحنا المعمدان في ادّه (جبيل) ورشكيدا ومسرح

هذه السمات الثلاث اي الحنيَّة والقبَّة والرواق هي التي تسمُ كنائس الموارنة قديمًا اللهمَّ الَّا الدهليز فانَّنا لم نجدهُ في قسم منها

*

هلمَّ نعتبر الآن ما اختصَّت بهِ بعض هذه الكنائس دون غيرها. فمن ذلك ان بعضها كان ذا ثلاثة اسواق كبيعة جبيل وان اعترض علينا احد بانَّ هذه الكنيسة من بناء الصليبيين فلا علاقة لها مع كنائس الموارنة أحَلْناهُ الى مثل كنائس أخرى بُنيت في وسط المقاطعات المارونيَّة كبيعة معاد ورشكيدا ومار جرجس في اهدن

فكنيسة معاد من اجل كنائس لبنان بناء وهندسةً لولا انَّ مُرَمّيها لم يعرفوا قدر الآثار القديمة فانهم لم يحسنوا إصلاحها وطمسوا كثيراً من محاسنها وأزالوا حنيَّتها ومحقوا نقوشها البديعة وكان لهذه الكنيسة ثلاثة اسواق غير انَّها اقصر من كنيسة جبيل ودونها في العلوّ . ولعمَدها رؤوس اكلةٍ من الطرزين الهندسيَّين الاقدَمين اي الطرز اليوني (ionien) والدوري (dorique). اصلهما من بقايا هيكل

١) ومذ ذاك العهد ايضاً ترك الموارنة بعض العادات الجارية عند اليونان وباقي الطوائف الشرقية . ولعلَّهم تخيَّلوا انَّ بناء الحنايا من الابنية المخصوصة بالروم

٢) راجع مقدّمة كتاب الدويهي المنون بمنارة الاقداس (ص ٧)

قديم مع آثار أخرى راجع ما كتبناهُ عن معاد في المشرق (٣: ٥٤٤). وفي الكنيسة المذكورة قبور ترتقي الى متوسّط القرون. وبازاء معاد قرية تدعى صغار لها كنيسة ذات سوقين في اعلاها حنيّتان

امّا كنيسة رشكيدا فتستحقُّ ذكرًا خصوصيًا لقلّة شهرتها. والحقُّ يقال ان الدهش اخذ منّا. أخذهُ لمّا صادفنا هذا المعبد الجميل في مزرعة حقيرة مجهولة يسكنها المتاولة على مسافة عشر دقائق من عبرين

فلكنيسة رشكيدا رواقٌ واسع كانت سعتهُ في سالف العهد اعظم منها اليوم. والمكان باسم القديس جاورجيوس الشهيد لهُ ثلاثة اسراق مثل كنيسة معاد والسوق الاوسط ينتهي بحنيّة وراءها قبّة كبيرة او بالاحرى ثلاث حنايا يندهش لمرآها الناظر. فطلبنا لهذه الصورة الهندسية الغريبة شرحًا يكشف لنا سرّها المكنون فغلب ظنّنا انّ الكنيسة كانت سابقًا اكبر منها اليوم فرمّمها البُناة واقتصروا منها على هذا القسم الباقي. ولاثبات هذا الظنّ ادلّةٌ تتبادر الى ذهن زائرها ولولا خوف الاطالة لعرضناها هنا. ونكتفي اليوم بأنّا عرّفنا القرّاء بوجود هذه التحفة الهندسيّة وسنلمح اليها في مطاوي الكلام غير مرّةٍ (١

ومن الكنائس القديمة الجديرة بالاعتبار كنيسة حدثون كان يقي منها بعض الاخربة قبل سنين قليلة. فلمّا بُنيت البيعة الجديدة تضعضعت تلك البقايا دون ان يمكنّا آنئذٍ زيارتها. ولرينان في وصفها فقرةٌ موجزة اثبتها في بعثته الفينيقيّة (ص ٢٥٥) فزاد بطالعتها أسفًا على فقد هذا الأثر البهيج. وكان في هذه الكنيسة عمودان تزينهما الكتابات القديمة التي رسمها رينان رسمًا لا يكاد يُستخلص منهُ معنًى. وكلُّ هذه الآثار من عمد وجدران قد طُمست وقت البناية الجديدة

وقد تفضّل حضرة الخوري نعمة الله نصّار فارسل الينا كتابًا ضمّنهُ عدّة افادات عن هذه الكنيسة الجميلة فقال في وصفها « انّها كانت ذات ثلاثة أسراق وفيها سبعة ابواب ثلاثة لجهة الغرب ضمن دهليز مُتقن وبابٌ لجهة الجنوب ولهُ ايضًا دهليز خاصّ وبابٌ للشمال ضمن دهليز طبيعي منقور في الصخر وبابان على جانبي الحنيّة وهي كانت

١) زعم رينان في بعثة فينيقية انّ في جدار هذه الكنيسة كتابةً قديمةً استدلّ عليها. وعندنا انّ لا وجود لهذا الأثر لأنّ الاهالين يجهلونهُ مطلقًا

غاية في الحسن تقوم على ذاتها ووراءها المؤلف (السكرستيا) فُتح لهُ نافذةٌ جنوبيَّة . وكان لهذه الكنيسة اربع قناطر رفيعة اثنتان للجانب الايمن واثنتان للأيسر يتعلَّق طرف الواحدة بجانب الحنيَّة وطرف الاخرى بالحائط الغربي »

فهذه التفاصيل تنبئنا بأنَّ كنيسة حدتون لم تُشبه غيرها من الكنائس السابق ذكرها وهي كأنها مقبَّبة ذات باب واحد ليس إلَّا . اما العواميد التي كانت في داخلها فتُرجَّح أنها نُقلت اليها من بناية قديمة كهيكل وثني او غير ذلك

وكان حضرة الاب نعمة الله سألنا في كتاباته مرارًا ان ندلَّهُ على اسم اي قدّيس شيّدت هذه الكنيسة لأنهُ تخفَّى في السؤال عن الامر لدى العامَّة وبحث عن تقليد الشيوخ فلم يفز بالمرام

قلنا أننا نحن ايضاً بحثنا عن هذا في ما تيسَّر لنا من التآليف فلم نحظَ بالمقصود. ولعلَّ ذلك يمكن استخلاصهُ من كتابة يونانيَّة دلَّنا عليها اهل حدتون . وهذه الكتابة كانت مكتوبة على طوق من النحاس كانت تُناط به تُرَيَّا او ما شاكلها . ومضمون الكتابة ما تعريبهُ : « في عهد حنَّا كاهن مار الياس » يريد كنيسة مار الياس . فيترجَّح من هذا ان الكنيسة المذكورة كانت على اسم القديس الياس النبيّ لأنَّ لحدتون كنيسة أخرى قديمة مخصَّصة بالعذراء الطاهرة وهي باقية الى اليوم

*

هذا وان سياق كلامنا عن رشكيدا ومعاد وحدتون قد بلغ بنا الى ان نبسط المقال عن النقوش التي كانت الكنائس المارونية مزيَّنةً بها . ولا مراء انَّ تصاوير كنيسة معاد كانت بديعة جدًّا كما يدلُّ على ذلك ما بقي منها على جدرانها وقد ذهب اكثرها بترميم خراب الكنيسة . وممَّا افادني شيوخ القرية أنهم لو ازالوا الردم الذي هناك لوجدوا امثالًا تصويريَّة حسنة من جملتها صورة مار يوحنَّا مارون . وفي تاريخ الموارنة للدويهي ما يؤيد زعمهم قال (في حاشية الصفحة ٣٦٨) : « وفي حنايا (يريد كنيستي معاد وبحديدات) مكتوب « ان الله صاؤوت » ومصوَّر على حيطانهما مار مارون ومار قبريان بالتيجان على رؤوسهما والدروع على اكتافهما » . فيا ليت اصحاب الامر يتولَّون هذا العمل وينتزعون التصاوير من تحت الردم ولنا الأمل انهم يأتون مع التصاوير كتابات قديمة بالخط الاسطرنجيلي تفيدهم علمًا عن اخبار قديسي الكنيسة المارونية .

اما تصاوير كنيسة رشكيدا فقد باد اكثرها الّا ما يراهُ النـاظر في جهة المحراب وهي رؤوس متقنة التصوير تدلُّ على ما كان ثمّت من النقوش الجميلة

ومن الكنائس المزخرفة بالتصاوير كنيستان على اسم مار جرجس في اهدن وعبدلة وكنيسة مار تادروس في بحديدات قد صبرت على عوارض الزمان ولو اراد السكّان لأمكنهم ان يجدّدوها بعد ازالة الملاط الذي يحجب قسماً منها مع صيانتها عن الرطوبة. ومما يُرى في جدران مار تادروس صور الكروبيم يحملون بين ايديهم تسبحة التقديس (Trisagion) مكتوبة بحروف اسطرنجيليّة ولبقيّة تصاوير هذه الكنيسة كتابات سريانيّة تُعرّف موضوعها واسماء الاشخاص المصوَّرين فيها. فلا يخلو البحث عنها من الفائدة

وكنت ارغب كثيرًا في زيارة كنيسة مار سركيس المجاورة لشبطين لأنّي ما كنتُ قرأتُ في بعثة فينيقيّة لرينان (ص٢٥١) انّ هذه البيعة مجمّلة بتصاوير بديعة ظنّ انها ترتقي الى القرن السابع او الثامن تمثّل على زعمهِ السيد المسيح ورسلهُ الابرار وأردف انّ وراء الهيكل قد بقي منها صور رؤوس جميلة. فزرتُ الكنيسة الّا اني لم اجد لهذه التصاوير اثرًا البتّة

وفي كفر شليمان معبد صغير غريب الشكل نُقر في الصخر يدعى سيدة تايا (١ وقد تبيّن لنا من فحصها انها كانت سابقًا مدفنًا ثمّ جُعلت معبدًا (٢. استدلالنا على ذلك بصغر المعبد وهيئتهِ وارتفاعهِ فوق الحضيض بعدّة اذرع. وترى في سقف هذا المعبد فوق مذبحهِ وعلى جناحي الهيكل نقوش وتصاوير اسودٍ قسم منها بناج السُرُج وهيوة البخور الذي يوقد امام صورة العذراء هنالك. وفي الزاوية القريبة من الباب صليب في تربيعهِ كتابة يونانيّة مؤدّاها: «قد انتصر يسوع المسيح». وعلى شمال الصليب صورة رامٍ بالقوس. وعلى يمينه وحش غريب لعلّهم ارادوا بهِ الشيطان الرجيم فيكون المصوّر اشار بذلك الى انتصار المسيح على قوّات الجحيم بصليبهِ

وقد ذكر الدويهي في تاريخهِ كنائس أُخر تزينها التصاوير القديمة لم يبقَ اليوم منها

---

١) لعلَّ هذه اللفظة يونانيّة الاصل «νέα» اي جديدة فيكون المعنى «السيدة الجديدة»

٢) ويقرب السراية المبنيّة حديثًا في قرية امیون كنيسة مثل كنيسة كفر شليمان على اسم القديسة مارينا كانت ايضًا مدفنًا ثمّ حُوّلت الى معبد

شيء. وما يزيدنا اسفاً على فقدها انَّ نقوش بعضها كانت مؤرخة كبيعة مار نهرا في ادّه من بلاد البترون فانَّ تاريخها كان يرتقي الى سنة ١٥٧٥ لليونان اي ١٢٦٣ للمسيح (راجع الدويهي ص ١١٢)

وان سأل سائل من اي طرز كانت النقوش والتصاوير التي سبق ذكرها اجبنا انَّها كانت كلها من الشكل البوزنطي فانَّ من يقابل بينها وبين النقوش البوزنطيَّة من حيث طريقة التصوير والالوان وهيئات الاشخاص لا يرى بين الطرزين اختلافاً يُذكر فيحكم بلا شكّ ان مصوّري هذه التصاوير اخذوا الفنّ عن البوزنطيين كما تلمح الى ذلك الكتابة اليونانيَّة التي في كنيسة كفر شلميان. امَّا اصل هؤلاء المصوّرين فنظنُّ انَّهم كانوا من الشام كفى دليلاً على ذلك الخطوط السريانيَّة المحدقة بالصور

وقد بقيت عادة الموارنة على نقش كنائسهم في لبنان زمناً طويلاً. اخبر الدويهي (ص ١٨١) في تاريخ سنة ١٥٨٧ ان الخوري اغطون من بيت الجميّل بنى كنيسة مار عبدا في قرية بكفيا وصوّرها على يد الشدياق الياس الحصروني واتفق عليها الف قبرسي ما عدا أكلاف اهل بكفيا وغيرهم من المحسنين». ولا بدع انَّ هذه التصاوير كانت محكمة الصنع لمظم البالغ الذي صرفهُ باني الكنيسة

كذلك زيّن الحبر الجليل اسطفان الدويهي كنيسة قنّوبين بالتصاوير والنقوش. بقيت منها الى اليوم صورة العذراء امّ الله ترى عند اقدامها بطاركة الموارنة جاثين امامها. بيد انَّ هذا التصوير ليس بمتقن على انَّهُ يلوح من خلاله انَّ صاحبهُ يحاول تقليد المصوّرين الفرنج

ويلحق بهذا الباب نقوش أخرى كانوا الموارنة يحبّون ان يزينوا بها كنائسهم وهي الفسيفساء. فهذه العادة وان كانت شائعة في بلاد كثيرة كانت في بلاد الشام أشيع واعمّ حتى انَّنا ذكرنا الفسيفساء المكتشفة حديثاً في مادبا في متصرفيَّة الكرك وقطر المؤابيين القديم قد نُقش فيها رسم بلاد فلسطين

وكذلك كان صحن كنائس كثيرة للموارنة مجمّلاً بالفسيفساء وقد وقفت على صحّة هذا الامر بنفسي في كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح فانَّ آثار هذه النقوش باقيَّة حتى الآن. وكان ايضاً لكنيسة كور التي هدمت منذ قريب ترصيع من الفسيفساء. افادنا الامر حضرة الابوين الفاضلين الخوري بطرس ارسانيوس رئيس

مدرسة مار يوحنا مارون والخوري بولس طعمه ومولد كليهما في هذه القرية

اما كنيسة حدتون فقد افادنا عن فسيفسائها حضرة الاب نعمة الله ما يلي قال: وكانت الكنيسة مبلّطة بحجارة المقرنصة وكان اجمل هذه النقوش في السكرستيا ملوّنة بالوان عديدة كالاحمر والاخضر والازرق والاصفر والبنفسجوني الخ والحجرُ فيها لا يكبر قطعاً عن السنتيمتر المكعّب. ويستدلُّ على حُسن رسومها واحكام صنعها من ذات تركيب الحصى. اما ارض الكنيسة فكانت مبلّطة بهذه الفسيفساء الّا انها اقلّ اتقاناً. منها ايضاً دهليز الخارج فانّ حجرهُ يكبر سنتيمترين»

هذا بعض ما تسنّى لنا جمعهُ عن فسيفساء الكنائس في لبنان ولا شكَّ ان بيعاً أخرى قديمة كانت مزيّنة بها فمن افادنا عن ذلك شكرنا لهُ فضلهُ سلفاً (ستأتي البقية)

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل ادّه اليسوعي (تابع لما سبق)

٢

قد مرَّ بك في المقالة السابقة (٩٣٦) تعريف الايقاع عموماً وما لهُ من حسن الوقع في النفوس وكيف تقوم به حقيقة النظم وقلنا ايضاً ان علم العروض لا يطلعنا على ايقاعات الابحر ولا يذكر قطّ قياسات الازمنة وطُرق تنسيقها انّما يكتفي باظهار الترتيب الذي يجب حفظهُ بين الاحرف الساكنة والمتحركة حتى يتألف منها كلام يلذّ سمعهُ. فكأنهُ بسط لنا مادّة الايقاع وطوى صورتهُ. وقد رأينا ان الطريق الى كشف هذا السرّ ان نقابل بين الشعر والغناء لعلّنا نجد اتفاقاً بينهما في تأليف ايقاعهما ولذا ذكرنا بعض اصول الايقاع الغنائي فبقي علينا ان نرى مطابقتهُ للشعر ان امكن

ولقد كان الامر تسهّل علينا جدًّا لو فطن العروضيّون بعد كلامهم عن اصول الايقاع التي هي كالاجزاء تتركّب منها الأدوار واوضحوا لنا تلك الاجزاء وشرحوا الأدوار بالتفصيل ليُعرف من اي اصول يتألف كلُّ دور منها (١. ثمَّ ما يزيد الصعوبة اختلاف المُسمّى مع مطابقة الاسماء. ليس للرمل مثلاً صورة واحدة وقياس واحد عند المؤلفين

١) لم يذهل الفارابي عن هذا الامر لكن النسخة التي ترجمها كُسْنارتن ناقصة. ثمَّ في كلام المؤلف ابهامٌ